

بسم الله الرحمن الرحيم

قوانين القرآن الكريم - الدرس : 10 - قانون الإحباط

10-09-2008

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم ، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات .

قانون الإحباط :

أخوتي المشاهدين ... أعزائي المؤمنين ... السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ولازلنا في قوانين القرآن، والقانون اليوم : (قانون الإحباط)

الأعمال المحبطة كالأمراض العضالة تلغي العبادات كلها :

أيها الأخوة الأحباب ، الإنسان يصاب في الدنيا بأمراض كثيرة ، وقد أنبأ النبي صلى الله عليه وسلم أن لكل داء دواء ، هذه الأمراض الكثيرة لها أدوية ناجحة ، وشفافية ، ولكن هناك بعض الأمراض الوبيطة ، بعض الأمراض المميطة ، بعض الأمراض العضالة ، هذه أمراض خطيرة ، تنهي حياة الإنسان ، فرق كبير جداً بين مرض طارئ له دواء وشفاء وبين مرض ينتهي بحياة الإنسان ، هذا المثل تمهيد لحقيقة خطيرة .

هناك أعمال كثيرة يعملها الإنسان ، بعضها يقبله الله ، وبعضها الآخر لا يقبله ، ولكن الذي لا يقبله ربما تاب منه ، ربما ندم ، لكن بعض الأعمال تشبه الأمراض العضالة تنهي الأعمال كلها ، تلغي العبادات كلها ، هذه الأعمال سماها العلماء (المحبطات) العمل يلغى ، هناك في بعض الأحاديث الشريفة قول للسيدة عائشة تقول :

((أبلغني زيد بن أرقم أنه قد أبطل جهاده مع رسول الله))

[أخرجه الإمام أحمد و سعيد بن منصور عن عائشة أم المؤمنين]

فموضوع خطير ، حركتك في الحياة ، عباداتك ، صلاتك ، صيامك ، حجك ، وزكاتك ، هل يعقل أن تحبط ؟ وأن تلغى ؟

لذلك ورد في بعض الأحاديث الصحيحة :

((لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالٍ تَهَامَةٌ بَيْضًا ، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا ، قَالَ تُوْبَانُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، صِفْهُمْ لَنَا ، جَلِبْهُمْ لَنَا أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ ، وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ ، قَالَ : أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا))

[سنن ابن ماجه عن توبان]

إذا هناك أعمال محبطة ، ربما استعرضنا في هذا اللقاء الطيب بعض هذه الأعمال المحبطة .

الأعمال المحبطة هي :

1 - الرفض الكلي لحقائق الإيمان ولمنهج الواحد الديان يلغي أي عمل صالح :

يقول الله عز وجل :

﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ ﴾

(سورة المائدة الآية : 5)

يعني إنسان رفض أن يؤمن بالله ، رفض أن يؤمن بالدار الآخرة ، آمن بالدنيا وجعلها نهاية أماله ، ومحط رحاله ، هذا الإيمان بالدنيا ، والإعراض عن الآخرة ، وعن قيم الإيمان ، وعن قيم الاستقامة ، هذا الموقف الرفض للدين يجعل عمله محبطاً ، أي لا قيمة له ولا وزن له في الآخرة ، بل ربما كان هذا العمل سبب شقائه الأبدي .

إذاً :

﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ ﴾

الإنسان حينما يرفض الإيمان أصلاً ، يرفض أن يخضع لله أصلاً ، يرفض أن يستقيم على أمر الله أصلاً ، هذا الرفض الكلي لحقائق الإيمان ، ولتفاصيل الإيمان ولمنهج الواحد الديان يلغي أي عمل صالح يتوهمه صاحبه أنه عمل صالح ، لأنه ما ابتغي به وجه الله ، ولا وافق سنة رسول الله .

2 - من يكفر بالعلامات والإشارات التي تنقلنا إلى معرفة الله فقد حبط عمله :

أيها الأخوة الكرام ، عمل آخر من المحبطات ، يقول الله عز وجل :

﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ ﴾

(سورة الأعراف الآية : 147)

هناك آيات عظيمة دالة على عظمة الله ، هذا الكون الذي ينطق بكل تفاصيله بوجود الله ، ووحدانيته ، وكماله ، هذه الآيات التكوينية أفعال الله عز وجل ، هذه الآيات القرآنية كلامه ، هذه الآيات هي

العلامات والإشارات التي تنقلنا إلى معرفة الله ، فالإنسان حينما يكفر بها ولا يعبأ ، ويكذبها ، بل يسخر منها طبعاً لن يكون عمله وفق منهج الله ، عمله وفق مصالحه ، وغرائزه ، وشهواته ، هذا العمل قد يبني على إيذاء الآخرين ، أو على ابتزاز أموالهم ، أو على انتهاك أعراضهم ، لذلك هذا العمل يحبط كل عمل ، وقد يكون سبباً لشقاء الإنسان في الدنيا والآخرة .

3 - المناهج الدقيقة التي توصل إلى الله من رآها قيوداً لا مبرر لها فقد حبط عمله :

أيها الأخوة الكرام ، عمل آخر من المحبطات لكنه خطير ، قال تعالى :

﴿ ذَلِكِ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا ﴾

(سورة محمد الآية : 9)

فقط كرهوا :

﴿ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾

(سورة محمد)

أي لم تعجبه هذه المناهج الدقيقة التي توصل إلى الله ، لم يعجبه تحريم الربا ، لم يعجبه تحريم الاختلاط، لم يعجبه تحريم المنكرات الاجتماعية ، رآها قيوداً لا مبرر لها ، لم يفهم هذه المحرمات على أنها ضمان لسلامة الإنسان ، بل فهمها تقييداً لحرية ، فتمنى ألا تكون ، وتيرم منها ، بل لم يعبأ بها ، بل لم يلتزم بها .

حينما يكره الإنسان منهج الله ، وحينما يكره الإنسان تعليمات الصانع ، بل حينما يكره هذه التي يتوهمها قيوداً لحرية وهي بالحقيقة ضمان لسلامته .

تماماً لو أن إنسان يمشي في أرض فلاة ، رأى لوحة كتب عليها : ممنوع التجاوز ، حقل ألغام ، هل يشعر هذا الإنسان المواطن الواعي أن الذي وضع هذه اللوحة أراد أن يحد من حرية ؟ لا أبداً ، أراد واضع هذه اللوحة أن يضمن سلامته ، وألا يتورط بالسير في حقل ألغام .

إذاً حينما نفهم أوامر الله ، ونواهيه ضماناً لسلامتنا ، وليست حداً لحريةتنا نكون فقهاء ، ومن أعظم الفضائل أن يفقه الإنسان في الدين .

4 - من بنى حركته على العدوان إن على أموال الناس أو على أعراضهم حبط عمله :

أيها الأخوة الأحباب ، محبط آخر من محبطات الأعمال ، الله عز وجل يقول :

﴿ ذَلِكِ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾

(سورة محمد)

الإنسان حينما يمشي في غضب الله ، حينما يمشي إلى إيذاء عباد الله ، حينما يمشي إلى إرواء لذائذه ، وغرائزه على حساب حقوق الآخرين ، حينما يعتدي على أعراضهم ، حينما يبتز أموالهم ، حينما يأخذ ما ليس له ، من أموالهم ، هذه الحركة المبنية على العدوان والابتزاز ، هذه حركة تحبط أعماله التي تبدو للناس صالحة ، هذه الأعمال التي تبنى على ابتزاز أموال الآخرين ، والعدوان على أراضهم ، وقد يكون له عمل يبدو للناس صالحاً ، أعماله التي تبدو للناس صالحة سقطت ، ولا قيمة لها ، ولا وزن لها عند الله إطلاقاً ، لأنه بنى حركته في الحياة على العدوان ، إن على أموال الناس ، أو على أعراضهم .

5 - الشرك بالله :

أيها الأخوة ، ولكن المحبط الأكبر هو الشرك بالله ، لأن الله عز وجل :

﴿ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ ﴾

(سورة النساء الآية : 48)

ولكي أوضح بدقة بالغة معنى الشرك :

إنسان ، نحن في سوريا مثلاً ، هناك مدينة في الشمال كبيرة ، تأتي بعد دمشق اسمها حلب ، حينما يكون لإنسان مبلغ كبير في هذه المدينة ، ولا بدّ من السفر إليها كي يقبضه ، ركب قطاراً من دمشق ، لكنه وقع في خطأ كثير ، ركب مركبة أو قاطرة من الدرجة الثالثة ، وبطاقته من الدرجة الأولى ، فهذا خطأ ، لكن القطار في طريقه إلى حلب وهو متحرك ، ثم إنه جلس في قاطرة فيها شباب ليسوا كما ينبغي أزجوه في السفر ، هذا خطأ ثانٍ ، لكن القطار متجه إلى حلب ، خطأ ثالث ركب عكس اتجاه القطار فأصيب بالدوار ، وهذا خطأ ثالث ، لكن القطار متجه إلى حلب ، خطأ رابع هو في أمس الحاجة إلى طعام يأكله فتلوى من الجوع ، وفي القطار عربة فيها مطعم ، غابت هذه الحقيقة عنه ، هذا خطأ رابع ، لكن القطار متجه إلى حلب ، كل هذه الأخطاء يمكن أن ينساها الإنسان بعد أن يصل إلى حلب ، وأن يقبض هذا المبلغ الكبير ، لكن خطأ كبيراً ماحقاً مدمراً يرتكبه الإنسان فيفوته هذا الحق ، وهذا المبلغ الكبير أن يركب قطاراً لا إلى حلب بل إلى الجنوب ، هذا القطار الآخر مع أنه فخم جداً ، مع أنه من الدرجة الأولى لكن هذا القطار يمشي في طريق مسدود ، ليس هناك مبلغاً يأخذه ، ولا هدفاً يحققه . لذلك الآية الكريمة :

﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَىٰ الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾

(سورة الزمر)

6 - الإضرار في الوصية :

أيها الأخوة الكرام ، نحن في موضوع خطير جداً ، يعني ممكن إنسان أعماله في حياته كلها من صلاة ، وصيام ، وحج ، وزكاة ، وله أعمال أخرى ، هذه تحبط العمل مثلاً :

**((إن الرجل ليعمل والمرأة بطاعة الله ستين سنة ، ثم يحضرهما الموت فيُضِران في الوصية ، فتجب
لهما النار))**

[أخرجه أبو داود والترمذي عن أبي هريرة]

لا يعطي البنات حقهن ، تجب له النار ، فالإضرار في الوصية من محببات الأعمال .
أنا قدمت بعض النماذج وحبذا لو يراجع الإنسان نفسه في جميع الأعمال المحببة لئلا يخسر صلاته ،
وصيامه ، وحجه ، وزكاته ، ولئلا يلقى الله وهو غاضب عليه .
أيها الأخوة الكرام ، إلى لقاء آخر إن شاء الله تعالى .
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .